



وزير الخارجية الإيراني في مقابلة مع جريدة «النهار» اللبنانية:

لم أَر تطورات سوريا أمراً غير متوقع

تنشر صحيفة «الوفاق» نصّ اللقاء الذي أجرته صحيفته «النهار» اللبنانية مع وزير خارجية الجمهورية الإسلامية الإيرانية الدكتور عباس عراقجي حول التطورات في سوريا ولبنان وفلسطين والمنطقة، وفيما يلي نصّ اللقاء:

منطقة الشرق الأوسط شهدت منذ السابع من أكتوبر ٢٠٢٣ تطورات سريعة ومعقدة للغاية، وكان سقوط نظام الرئيس بشار الأسد في سوريا نقطة تحول بارزة فيها، كيف حدث هذا السقوط السريع لأحد أهم الحلفاء الإقليميين لإيران؟

على خلاف الأجواء الإعلامية، لم أَر شخصياً تطورات سوريا أمراً غير متوقع. السبب وراء السقوط السريع يحتاج إلى دراسة عناصر الأرض، والزمان، والأرضية. الأحداث التي بدت ظاهرياً مفاجئة وسريعة كانت لها، في الواقع، جذور وأرضيات حقيقية تعود على الأقل إلى عشر أو اثني عشر عاماً. خلال الأشهر الأربعة عشر الأخيرة، استهدفت الهجمات المستمرة التي شنّها الكيان الصهيوني البنية التحتية الدفاعية لسوريا بهدف إضعاف الحكومة السورية. تعدد الأطراف الخارجية، ذات الأهداف المتقاطعة وأحياناً المتناقضة – والتي كان قاسمها المشترك إسقاط النظام القائم – أدى في النهاية إلى التطورات السريعة التي شهدناها.

الإيرانية دائماً داعمة للمفاوضات الثلاثية مع تركيا وروسيا، كما أجرت اتصالات مباشرة مع وفود المعارضة السورية، حيث جرت ساعات طويلة من المناقشات وتبادل وجهات النظر معهم. وفي كل مرة، كنا نقدم مقترحات المعارضة إضافة إلى ملاحظتنا إلى السلطات العليا في دمشق فضلاً عن نقل ما جرى في مباحثات أستانا.

دعم إيران كان عاملاً رئيسياً في صمود النظام السوري السابق في مواجهة الانقضاضة ضده عام ٢٠١١. فلماذا لم تدعم طهران هذا النظام في مواجهة تحريك الشام؟

دعمنا لسوريا كان دعماً لدولة بناءً على طلب رسمي من حكومتها الشرعية، بهدف منع سيطرة الإرهاب والتطرف الوحشي والعنيف لداعش. هذا التدخل كان يهدف إلى حماية دولة مهمة في المنطقة من الوقوع في الفوضى والقتل والجرائم والتحول إلى «دولة فاشلة»، وكذلك للحفاظ على أمن واستقرار المنطقة، والذي اعتبره دائماً جزءاً لا يتجزأ من أمننا القومي. علينا أن نتذكّر أن سوريا كانت تواجه تهديداً وجودياً لوحدة أراضيها نتيجة صعود إرهاب داعش الجامح. كانت خطوطنا الحمراء واضحة، كما أكدّ قبل زيارتي الأخيرة إلى سوريا في مطار طهران، وهي الحفاظ على الحدود السياسية والسيادة الوطنية لدول المنطقة.

لقد أثبتنا هذا الموقف خلال الأزمة التي واجهتها تركيا في ١٥ يوليو ٢٠١٦؛ إذ كانت إيران أول دولة وقفت ضد الانقلاب الذي هدّد سيادة تركيا الوطنية. كنتُ في ذلك الوقت نائب وزير الخارجية، وكنتُ حاضراً في غرفة الأزمة التي شكّلت، وكنتُ شاهداً على الاتصالات الهاتفية المستمرة والطويلة بين المسؤولين الإيرانيين، وكذلك على التنسيق المتعدد بين عسكريين ونظراتهم الأتراك. لذا، كما أن حماية السيادة الوطنية التركية وحدودها تُعد أولوية بالنسبة لنا، فإن لدينا نفس الرؤية تجاه سوريا وجميع الدول المجاورة

والمنطقة. ومن الطبيعي أننا لسنا مُلزمين بالقتال بدلاً من جيش دولة أخرى، ولكننا سنبدى تعاوناً في مواجهة التهديدات الموجهة للأمن القومي لجيراننا من قبل القوات الأجنبية، أو التيارات الإرهابية والانفصالية، وذلك بعد تلقي طلب منهم. هذا الأمر يُعد موضوعاً مقبولاً وفقاً للقانون الدولي.

على عكس أمريكا التي تحتل جزءاً مهماً من سوريا دون أي إذن أو أساس قانوني، لم نتوجه أبداً إلى هناك بدون طلب وإذن من الحكومة السورية. راجعوا تاريخ إيران فيما يتعلق بـعُمان؛ حيث حدث هذا مرتين في القرنين التاسع عشر والعشرين بناءً على طلب حكومات ذلك البلد. واليوم، تُعد سلطنة عُمان أقرب جيراننا من حيث التبادلات المختلفة في منطقة الخليج الفارسي، فهي تمتلك الاستقلال والسيادة ووحدة أراضيها، ونحن نفخر بذلك. وبالنسبة لسوريا، فإن نظرتنا هي ذاتها. ومع ذلك، يجب أن اعترف أنه قد تم ظلم السياسة الإقليمية لإيران بسبب الحملة الإعلامية، وذلك ناتج من قصصنا من ناحية، ومن موجة التشويه الإعلامي العالمي من ناحية أخرى، التي بدأت مع الثورة الإيرانية. لقد تحوّل بناء صورة خاطئة عن إيران إلى عمل يمتد الآن إلى العالم الإسلامي، حيث يستفيد الكثيرون يوماً من ظاهرة الإسلاموفوبيا.

ماذا حدث في لقاءكم الأخير مع الرئيس السوري في دمشق قبل عدة أيام من السقوط، هناك مواضيع كثيرة نشرت بهذا الشأن؟ هل نستطيع أن نسلم بشكل خاص من معاليكم أنه ماذا جرى بالتحديد وهل أوصيتم الرئيس السوري بأن لا يقوم؟

من المؤكد أن البروتوكولات الدبلوماسية لا تسمح لدولة بأن تقدم توصيات مباشرة إلى دولة أخرى، لكن مستوى التعاون والمشاورات بيننا وبين سوريا، والذي تطور خلال سنوات من التعاون الاقتصادي والصناعي والثقافي والسياسي، كان عالياً جداً لذلك في جميع المشاورات كنا نتحدث

بصراحة وشفافية فيما بيننا. في ذلك اللقاء الأخير، كان حديثي مع الرئيس السوري مقسماً إلى قسمين: عام وخاص. في كلا القسمين كنت صريحاً ودقيقاً، وأوضح له الظروف وأكدت أن إيران تدعم بقوة وحدة الأراضي السورية وسعادة شعبها واستقرار مؤسساتها الحكومية ونحن ندعم هذه المبادئ الثلاثة التي تعتبر مجموعة مبادئ في تنظيم العلاقات الثنائية. منذ عام ٢٠١١، كنا دائماً نقترح على الحكومة السورية ضرورة بدء حوار سياسي مع تلك المعارضة التي لا تُنسب إلى الإرهاب.

كيف ترى إيران تأثير هذه التطورات على دورها الإقليمي؟

الجيوستراتيجية والعمق الاستراتيجي لكل دولة يعتمد على موقعها الجغرافي من النواحي الطبيعية والبشرية والسياسية. طالما لم تتغير الحدود أو يتم تهجير السكان أو تبدل المعطيات السياسية، فإننا لا نتوقع تغيراً في موقعنا. كانت ولا تزال شريكاً موثوقاً به لجيرانها، دون أن تكون لها أطماع في أراضيهم، بل تعمل على تسهيل التبادل التجاري.

أهم ما يميز إيران هو مقاومتها المستمرة لعدة عقود ضد أهداف الكيان الصهيوني، مما يبرز التزامها بالقضية المركزية للعالم الإسلامي ومواجهة الخطر الأكبر على أمن واستقرار غرب آسيا.

ما هو المسار الذي تفضلونه للحوار مع الحكومة القائمة في سوريا؟

القنوات الرسمية والدبلوماسية هي خيارنا المفضل، وهذا يعود إلى وجود التنسيق والضمانات اللازمة وفقاً لاتفاقية فيينا، لحضور الوفد الفني لوزارة الخارجية برفقة الدبلوماسيين المُعنيين. سيتم تحديد الأضرار وتقديم تقرير بها إلى المسؤولين السوريين، وكذلك سيتم تجهيز السفارة في دمشق والقنصلية العامة في حلب لتقديم الخدمات من خلال الوفد الفني. وفي الوقت نفسه، ستبدأ المباحثات والتقييمات السياسية من قبل الدبلوماسيين مع المسؤولين

المطلعين وفقاً لمهامهم المعتادة.

ما هو شكل الحكومة الجديدة في سوريا الذي تفضله إيران؟

مثل أي بلد، يجب أن تكون الحكومة انعكاساً لإرادة الشعب، وشاملة لجميع الفئات المؤهلة لتمثيل المجتمع السوري. يجب أن تسهم في تمهيد الطريق لحوار وطني يضمن وحدة سوريا داخل حدودها السياسية.

أعتقد أن الحكومة التي تجعل من صون الحدود وممارسة السيادة مع الرضا الاجتماعي على الأراضي السورية أمراً ممكناً، فتحصل على عنصرتين داخليتين أساسيين، كما أن الحكومة التي تسعى لتحسين الحوار مع الحفاظ على استقلال القرار في تنظيم العلاقات الدولية فتحصل على عنصرتين خارجيتين ضروريين للنظام المثالي والشامل الذي يمكن أن ينقذ سوريا.

ما اقتراحكم للبدء في مسار ناجح للخروج من الأزمة وعودة السلام والاستقرار إلى سوريا وإقامة حكومة وطنية؟

في رأيي، هناك عدة خطوات ومراتب يجب مراعاتها: أولاً؛ على المستوى الداخلي، يجب البدء بحوار وطني سوري. سوري بحيث يشعر جميع الشرائح المختلفة والمتنوعة من أبناء الشعب السوري بالمشاركة. وبالتزام مع هذه الحوارات، يجب التركيز على مساعدة عودة اللاجئين.

ثانياً؛ على المستوى الدولي، ينبغي عقد مؤتمر بمشاركة جميع الدول المساهمة لإعادة إعمار سوريا وتسوية ديونها، بحيث تساهم جميع الدول التي لها مستحقات لدى سوريا في دعم مستقبل هذا البلد. وفي هذا المؤتمر يتم تحديد الديون وجدولتها، كما تُحدد المساعدات والتعهدات اللازمة. من المهم للغاية أن يتم التركيز بالتزامن مع التقدم نحو الاستقرار السياسي الداخلي على تثبيت الاقتصاد السوري بشكل عاجل وفوري.

الخطوة الأخرى التي يجب اتخاذها لضمان نجاح هذين الإجراءين، هي تفعيل دور الأمم المتحدة ومجلس الأمن لفرض الالتزام بتحريك الأراضي السورية وإعادتها إلى الشعب السوري. ويجب احترام وحدة الأراضي السورية.

آية الله علي خامنئي، قائد الجمهورية الإسلامية، اتهم دولة أخرى بالسعي لتغيير نظام الأسد، هل كان يقصد تركيا؟ وهل هناك اتصالات بين طهران وأنقرة بشأن مستقبل سوريا؟

إنّ المشاورات بين الدولتين الجارتين، إيران وتركيا، بشأن القضايا الإقليمية كانت ولا تزال قائمة طوال التاريخ الطويل للعلاقات بين البلدين. إنّ زيارتي من دمشق إلى أنقرة تُظهر مقاربة واضحة تعكس مساندة عالى من التعاون والمشاورات المستمرة حتى في ظل اختلاف وجهات النظر وتباين التوجهات.

هذه المشاورات كانت قائمة طوال السنوات الأخيرة التي بلغت فيها الأزمة السورية ذروتها، من خلال آية أستانا الثلاثية أو عبر اتصالات المسؤولين في البلدين. لقد شاركنا مخاوفنا خلال العديد من اللقاءات بشأن تأثير التطورات السورية مع نظرائنا الأتراك. ونعتقد أنه لا توجد دولة في جوارها يمكن أن تستغني عن الأخرى، فالأمن بين الجارتين مترابط. وفيما يتعلق بتصريحات سماحة القائد، أود أن ألفت انتباهكم إلى النص الكامل للكلام، حيث أكد على أن «ما يحدث في سوريا هو خطة أمريكية. إسرائيل تلعب فيه دولة أخرى دوراً واضحاً». ثم أوضح بشكل صريح أن «العامل الرئيسي المُتأثر والمخطط الأساسي وغرفة القيادة موجودة في أمريكا والكيان الصهيوني».

برأيي، يجب الاستناد إلى النص الكامل لعبارات سماحته لفهم المعنى بدقة،

والإنساق في النظرة التبسيطية ونحكم بشكل خاطئ على الرؤية الاستراتيجية لإيران. من المهم ملاحظة أن سماحته أكد على «العبارة الرئيسية» ثلاث مرات. وبالتالي، أعتقد أن التصور الوارد في سؤالكم لا يستند إلى النص الصريح لكلام سماحته.

حول لبنان؛ أود أن أطرح عليكم سؤالاً يتكرر طرحه خلال الحرب الأخيرة: هل تعتبر إيران فعلاً حزب الله موضوعاً للتفاوض والاتفاق؟

استغربت قليلاً من سؤالكم، لأنكم تعرفون حزب الله أكثر مني. حزب الله كان دائماً جزءاً لا يتجزأ من المجتمع اللبناني، ولعب دوراً حاسماً في التحولات التاريخية للبنان خلال العقود الثلاثة الماضية. كذلك، رؤيتنا لحزب الله كانت ولا تزال مبنية على الإدراك الذي حملته قائده الشهيد ورفاقه. واليوم، مع القيادة الجديدة التي تتولى دفة حزب الله، لا تزال تلك الرؤية حاضرة لدينا.

حزب الله بالنسبة لنا دائماً كان قوة اجتماعية مؤثرة، وقوة عسكرية مدافعة، وحركة سياسية فعالة تساهم في الحفاظ على التماسك الوطني، واستتباب الأمن، ودعم البنية الدفاعية، وتوجيه سفينة لبنان في بحر الأحداث بالتعاون مع بقية اللبنانيين. هذا هو الأساس الذي تنطلق منه رؤيتنا لحزب الله. بالإضافة إلى ذلك، لعب حزب الله دوراً محورياً بجانب الشعوب المسلمة والقوى العربية في الدفاع عن أرض فلسطين ومقاومة التوسع العدواني وبلا حدود لإسرائيل. هذا هو ما يجمعنا معه. وأعتقد أن جميع شعوب المنطقة مدنية لحزب الله وشعب لبنان على تضحياتهم.

إيران تقف إلى جانب جميع قوى المقاومة في الجبهة المناهضة للصهيونية، وهي بالتأكيد تدعم كافة القوى الإسلامية والعربية التي تنتمي إلى هذا المحور. وأكثر مرة أخرى أن المقاومة ضد الاحتلال والتوسع المستمر لإسرائيل ليست مجرد قضية عقائدية، بل هي واقع مهم وأهم أداة للحفاظ على أمن واستقرار المنطقة بأسرها.

يوفر اتفاق وقف إطلاق النار بين لبنان وإسرائيل مجالاً للتحرك لإسرائيل، كيف تقيمون هذا الاتفاق؟

أولاً أعتقد أن إسرائيل وافقت على هذا الاتفاق لأنها لم تكن قادرة على تحمل الحرب والمواجهة المباشرة. منذ أكثر من عام، يستهدف الجيش الصهيوني الرجال والنساء العزل والأبرياء في غزة بمن فيهم الأطفال والمسنين المرضى والعجزة بأقوى الضربات الممكنة – وهي كارثة القرن المعاصر – وحولهم إلى هدفه الرئيسي ويرتكب إبادة جماعية حقيقية. ماذا حققت هذه الوحشية؟ توسيع رقعة الحرب إلى لبنان واليوم إلى سوريا؟ ما هي القيمة المضافة التي خلقتها هذه الهجمات لإسرائيل؟ فسوى «إثارة كراهية عامة في العالم» وكشف الوجه الحقيقي للكيان الصهيوني باعتباره كياناً يرتكب «الإبادة الجماعية» ومجرم حرب ملاحق من قبل المحكمة الجنائية الدولية ومداناً من قبل محكمة العدل الدولية، ما هي النتائج التي حققتها؟ هذا ثمن باهظ وطويل الأمد يدفعه يهود أصبحوا في أسرفكرة الصهيونية.

إن الصهيونية بالأمس متمثلة في غولدا ماير وشارون واليوم متمثلة بنتنياهو وأساءت استغلال عنصرتين هما دين النبي موسى كليم الله والهوية العرقية لليهود. بالنسبة لي، تقديري هو أن نتنياهو يتعلق بتصريحات سماحة وقبار مجلس الأمن رقم ٣٦٠ بشأن وقف الصراع مع سوريا، ولا يعتبر نفسه ملتزماً بأي مبدأ، لن يلتزم بوقف إطلاق النار. لهذا السبب، نعتقد أنه ينبغي للدول أن تقف موحدة وقوية في مواجهة هذه القوة المدمرة والشيطان، بالاعتماد على قدراتها الوطنية وقوة شبابها المتحمسين.

أهم ما يميز إيران هو مقاومتها المستمرة لعدة عقود ضد أهداف الكيان الصهيوني، مما يبرز التزامها بالقضية المركزية للعالم الإسلامي ومواجهة الخطر الأكبر على أمن واستقرار غرب آسيا